توحيد الشعراء في قصيدة واحدة

الامام الحسين (ع) عنوانا

اشراف
الاستاذ الدكتور صدام فهد الاسدي

اعداد الباحثة
كوثر عبد الغني

ان الشعراء اهتموا بالشخصيات التاريخية و اثروا التعامل معها في اشعارهم لجملة من الاسباب ، منها اظهارهم الولاء لتلك الشخصيات و محاولتهم مدحها و اظهار محاسنها و الانتصار لمواقفها الايجابية ، و الشخصية التاريخية رمز عميق الدلالة حمله الشعراء مضامين معاصرة انتفعوا بعمق الظواهر فيها للحديث عن خلجاتهم و مشاعرهم و قد ابدعوا في ذلك و اجادوا و زودوا الشعر بنتف من الادب لا نجد مثلها قط ، و لان واقع مأساة الحسين (ع) يختلف عن كل حادث تاريخي و شخصية الحسين في اخلاقياتها اعمق من سواها ، فقد عشق الشعراء محاورتها و ظهرت لنا في اشعارهم المدائح و المراثي و استخدامها بهيئة الرمز الذي شملت دلالته الحرية و الرفض و الارادة و الاستعمار و مقاومته .

تجليات صورة الامام الحسين (ع) في نتاجات الشعراء :

١- المدح : مدح الشعراء قرابة الامام الحسين (ع) من الرسول (ص) و بنوته لعلي و فاطمة (ع) ، و اظهار اخلاق الامام الحسين (ع) و دينه بشكلهما الحق . يقول الجواهري في عينيته التي تعد اروع ما قيل في سيد الشهداء :

فداء لمثواك من مضجع تنور بالأبلج الاروع

بأعبق من نفحات الجنان روحا و من مسكها اضوع

الى ان يقول :

و يا ابن التي لم يضع مثلها كمثلك حملا و لم ترضع

و يا ابن البطين بلا بطنة و يا ابن الفتى الحاسر الانزع

فقد خاطبه الشاعر بابن البتول ، و البتول لقب السيدة فاطمة (ع) لعفتها و كرامتها ، ثم يتمم الشاعر عظمة النسب من خلال حديثه عن علي بن ابي طالب (ع) فيصفه بالبطين اثباتا لزهده ، و الحاسر الانزع لبطولته و صولته في الحروب .

اما الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد فقد خلد نفسه في رائعة مخلدة صوب الحسين (ع) تنقل فيها من الرمز الى المدح الى الرثاء ، اذ يقول :

سلام عليك حبيب النبي و برعمه طبت من برعم

حملت اعز صفات النبي و فزت بميعاده الاقوم

بل اخترت موتك صلت الجبين و لم تلتفت و لم تذرم

و يا ابن الذي سيفه ما يزال اذا قيل يا ذا الفقار احسم

تحسس مروءة مليون سيف سرت بين كفك المخرم

فنسبة الحسين الى الرسول ليست بالدم بل بالارث الفكري و من هنا وجبت محبته ، و ذكر ابيه علي (ع) كأن الشاعر اراد به الكناية عن شجاعة الحسين (ع) مختصرا الحديث فاورد ابيه (ع) .

٢- الرثاء :

و رثاء الحسين بن علي (ع) يتسم باختلافه النسبي عن باقي الرثاء ، لانه ابتعد عن لحظة الفاجعة ، فلا زالت المراثي فيه تؤلف حتى وقتنا الحاضر و كانه استشهد بالامس اذ وجدنا تلك الاشعار مشحونة بالعواطف الصادقة .

يقول نزار قباني في رثاء سيد الشهداء :

سال المخالف حين انهكه العجب هل للحسين مع الروافض من نسب

لا ينقضي ذكر الحسين بثغرهم و على امتداد الدهر يوقد كاللهب

و كأن لا اكل الزمان على دم كدم الحسين بكربلاء و لا شرب

او لم يحن كف البكاء فما عسى يبدي و يجدي و الحسين قد احتسب

فاجبته ما للحسين و مالكم يا رائدي ندوات الية الطرب

ان لم يكن بين الحسين و بيننا نسب فيكفينا الرثاء له نسب

اما البكاء فذاك مصدر عزنا و به نواسيهم ليوم المنقلب

نبكي على الرأس المرتل اية و الرمح منبره و ذاك هو العجب

نبكي على خدر الفواطم حسرة و عل الشبيبة قطعوا اربا ارب

دع عنك ذكر الخالدين و غبطهم كي لا تكون لنار بارئهم حطب

و يقول الجواهري:

و خلت و قد طارت الذكريات بروحي الى عالم ارفع

و طفت بقبرك طوف الخيال بصومعة الملهم المبدع

كأن يدا من وراء الضريح حمراء مبتورة الاصبع

تمد الى عالم بالخنوع و الضيم ذي شرف مترع

تخبط في غابة اطبقت على مذئب منه او سبع

لتبدل منه جريب الضمير باخر معشوشب ممرع

٣- الحسين رمزا :

لقد توسع الشعراء في التعامل مع شخصية الحسين (ع) بصيغة الرمز لأنه اكثر من مجرد شخصية تاريخية و المفكرون يعتقدون ان الفرد قد يتحول الى رمز في امة من الامم او شعب من الشعوب مختزلا طموحات و امال امته و تطلعاتها الى المستقبل .

و السياب من الشعراء اللذين اغرموا بالرمز و وجدوا فيه خير وسيلة للتعبير عن افكارهم ، لكن السياب الذي وجد في قضية الحسين خلاصا له من وضع بلده في الاربعينات و الخمسينات ثم يتعامل مع الشخصية بمنطق العاطفة بل توجه صوب الجانب الاخر و هو يزيد و معسكر الاعداء ، فيزيد رمز للسلطة ، و الحسين رمز للثورة ، و ابناء الحسين و اله هم ابناء العراق ، فخاطب يزيد متشفيا بمصيره المحتوم و كأنه مجرم من عصره لا من عصر سابق له :

ارم السماء بنظرة استهزاء و اجعل شرابك من دم الاشلاء

و اسدد بغيك يا يزيد فقد ثوى عنك الحسين ممزق الاحشاء

و الليل اظلم و القطيع كما ترى يرنو اليك باعين بلهاء

احنى لسوطك شاحبات ظهوره شان الذليل و دب في استرخاء

فالليل هو العبودية ، و القطيع هو الشعب ، و السوط هو الظلم ، و يزيد مطلق العنان في الشعب يعمل به كما يريد .

فالشاعر عاجز امام فعل ما يجب لا يجد الا دمعة لا يستطيع حتى ان يجهش ببكائها فبقيت خرساء مكتومة :

و استقطرت عني الدموع و رنقت فيها بقايا دمعة خرساء

و نجد هذا الرمز قريبا مما قاله احمد شوقي امير الشعراء في الامام الحسين (ع) :

و انت اذا ما ذكرت الحسين تصاممت لا جاهلا موضعه

احب الحسين و لكنني لساني عليه و قلبي معه

حبست لساني عن مدحه حذار امية ان تقطعه

فهو يقترب من النص السيابي و يبتعد عنه في ان ، و ذلك من خلال الموقف من الحكومات الظالمة فكلاهما جعلا للحاكم الظالم رمزا و هو يزيد ، اما ما يفرقهما فهو كون السياب وظف قضية الحسين (ع) للثورة ضد الظلم ، اما شوقي فحسبه ان يحبس لسانه خوفا من الطغاة و لكنه ابقى حب الحسين (ع) في قلبه .

و لعلنا لا نعدم ان نجد صورة الماء عند الشعراء متناوب مع صورة الامام فعود المياه منوط به (ع) و شحتها صنو عطشه ، يقول عبد الرزاق عبد الواحد :

انه الماء ماؤك ، و الدماء دماؤك

و هي دين

و لهذا يطوف عليها الحسين

الى الحد الذي يصبح الماء فلكا له ، او انه الماء بذاته فأينما نلمح الماء فاننا سنلمح وجه الحسين (ع).

اما حميد سعيد فانه يعود الى المياه التي تدور على نفسها لكي يربطها برحلة النمو و التطهير فهي هنا ليست المياه المتدفقة التي احبها في تاريخ الفرات انما هي المياه الشحيحة التي تحولت الى نار احرقت و احترقت فلسطين .

الاحاديث بعد العشية و النار تصحو على شرفات المنازل و فلسطين هي ابنة الحسين .

لان العطش واحد و السبي واحد .

و الحسين (ع) هو اصدق تجربة تدل على قوة الارادة ، و على القرار الذي احدث لديه الرؤيا ، فقد امتلك رؤيا ثنائية الابعاد رؤيا من كشف عنهم الغطاء لقوة ايمانهم بالله تعالى ، و رؤيا الارادة الحرة التي تدفع صاحبها نحو الخلق ، و لعل هذا الجانب احد اهم الجوانب التي دفعت الشعراء الى محاورة تلك الشخصية ، يقول البياتي في قصيدته رسالة الى السياب :

اصعد اسوارك بغداد ، و اهوي ميتا في الليل

امد للبيوت عني و اشم زهرة الما بين

ابكي على الحسين

و سوف ابكيه الى ان يجمع الله الشتيتين و ان يسقط سور الما بين

و نلتقي طفلين ، نبدأ حيث تبدأ الاشياء

نسقي الفراشات العطاشى الماء

فالشاعر يتمنى العودة الى ايام طفولته الى براءته و بدايته ، و كل ذلك مرتبط ببكائه على الحسين (ع) .